



بسم الله الرحمن الرحيم .. الحمد لله .. والصلوة والسلام على رسول الله .. وبعد ..

لا يختلف عاقلان في أنَّ الأمة الإسلامية تمر بأزمة كبيرة وخطيرة عقب الانقلاب العسكري الذي وقع في مصر مؤخرًا؛ فأطاح بأحلام الشعوب العربية والإسلامية في التغيير، ولا يجادل أحد في أنَّ تداعيات هذه الأزمة لا تقتصر على المصريين وحدهم وإن كانوا هم أشد شعوب الأمة تضررًا منها.

وطبيعي أن يفكر المسلمون في كيفية الخروج من هذه الأزمة، ولكن ليس طبيعياً ولا مقبولاً أن يظل التفكير بمنأى عن هدایات القرآن، وإذا كنا مكلفين بالتفكير والتدبر ورسم الخطط ووضع الاستراتيجيات وغير ذلك بأسلوب علمي يأخذ في الاعتبار معطيات الواقع مع استشراف المتوقع ومحاولة استكناه ما وراء الأحداث؛ فإننا - كذلك - مأمورون باستصحاب هدایات القرآن ومنهيون عن مجافاتها، "كتاب أنزلناه إليك مبارك ليذروا آياته وليتذكر أولوا الألباب".

ونحن إن ألقينا نظرة سريعة، تستصحب الماضي القريب من لدن موجة يناير 2011م، وتستشرف المستقبل القريب الذي سيأتي فيه النصر ويتحقق فيه العز والتمكين إن شاء الله، وتمر بتؤدة وأناة وتدقيق على أحداث الانقلاب وما قبله؛ فلن نتردد في تشبيهها في بعض جوانبها بما جرى في أحد وما قبلها وما بعدها.

ففي بدر تحقق للمسلمين نصر هز عرش الباطل وخلخل دعامتات الجاهلية، هذا النصر المفاجيء للجميع أحدث عند المسلمين حالة من ضعف الحس بخطورة العدو، وحالة من الترهل الاجتماعي والسياسي تجاه أقوام كان من الأولى أن يعاملوا بحزم وأن يوضعوا في موضعهم الصحيح؛ فجاءت أحداد صفعة مدوية لتمهد لمراجعة حقيقة لابد منها لمواصلة النضال الذي أوصل بعد ذلك إلى تمام العز وغاية التمكين "هذا بيان للناس وهدى وموعدة للمتقين".

ذلك - بصورة ما - جرت الأحداث في مصر، ثورة أطاحت برأس النظام وأبهرت العالم، بعدها حالة من الغرور الثوري والاسترخاء والغفلة، تخللتها أخطاء منهجية وقعت في غيبة الحس الإسلامي الواعي، ثم انقلاب أطاح بكل المكتسبات الظاهرة، وإن بقي المكتسب الأكبر وهو وجود الحالة الثورية، فكان الانقلاب صفعة عنيفة تهدف إلى الإفادة والمراجعة وتصحيح المسار بغية الخروج من الأزمة والانطلاق إلى آفاق التمكين على متن ثورة أشمل وأوسع وأكثر وعيًا ورشداً

من هنا تكون الدروس القرآنية التي عقبت غزوة أحد دروساً لنا، ونكون نحن مستهدفين بها مثل الأولياء سواء، ونحن إن تأملنا تلك التعقيبات القرآنية فسنجدها تدور حول محاور أربعة، هي على وجه الدقة محاور الخروج من الأزمة.

- **المحور الأول:** استعادة الثقة بالنفس، واسترداد حالة استعلاء الإيمان
- **المحور الثاني:** المكافحة والمصارحة
- **المحور الثالث:** التقويم المستوعب للمرحلة بكل مكوناتها
- **المحور الرابع:** التمسك بثلاثية إعادة الانبعاث (التغافر – التشاور – التوكل)

هذه هي محاور الخروج من الأزمة، ومنطلقات التجديد للانبعاث الكبير، وجميع ما جاء في سياق التعقيب على أحدات أحد يدور حول هذه المحاور الأربع، فلننصلح الآيات لنرى إلى أي مدى بلغت أهمية هذه المنطلقات.

في بداية التعقيب الفعلي على الأحداث وجدنا الآيات تربت على قلوب المؤمنين، وتهدئ من فوران الحزن والهم، فالمؤمنون هم الأعلون، والهزيمة لم ترفع الكافر ولم تخفض المؤمن، وهي ليست النهاية، فال أيام دول، وما أصحابهم من ألم ومصاب فقد أصاب المشركين مثله، ولهم فوق ذلك أن الله اصطفى منهم شهداء ومحصهم بهذا الابلاء؛ ليكون هذا التمحص وهذا الاجتباء مقدمة لمحق الكافرين: " ولا تهنو ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين . إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين . وليمحص الله الذين آمنوا ويتحقق الكافرين ".

ولقد تناغم فعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع هذا السياق؛ إذ إنّه عندما سمع أبو سفيان يصيح: اهل هبل. قال لأصحابه: «أجيبوه» قالوا: ما نقول قال: «قولوا: الله أعلى وأجل» . قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم «أجيبوه» قالوا: ما نقول؟ قال «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم» . فقال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، وال Herb سجال، فقال لأصحابه قولوا لهم: لستنا سواء، قتلانا في الجنة وقتلنا في النار.

فأهل الحق هم أهل الحق، وأهل الباطل هم أهل الباطل، والانقلاب لم يقلب الحق باطلًا ولا الباطل حقاً، وأهل الحق هم الأعلون بما معهم من حق وخير ومنهاج قويم، والباطل منسحق وإن بدا منتفضاً، وسيسقط حتماً، وما الأيام إلا كحبات مسبحة في يد القدرة الإلهية، فلا شك أن يوم النصر آت وكل آت قريب، وإذا كان الشهداء قد صعدوا إلى ربهم، وإذا كان القرح قد ألم بإخوانهم؛ فإنما ذلك ليمحص الله الذين آمنوا ويتحقق الكافرين.

لذلك يجب – قبل أي أمر آخر – من استعادة الثقة واسترداد حالة الاستعلاء الإيماني على الجاهلية، ذلك هو المحور الأول من محاور الخروج من الأزمات.

ويأتي المحور الثاني – وهو المكافحة والمصارحة – ليزن المعادلة، فالثقة بالنفس وحالة الاستعلاء بالإيمان ليست غروراً، وليس تجاهلاً للأخطاء، ولا إهالة للتراب على الزلات، وإنما هي لردّ الأمر إلى نصابه، وإرجاع الوضاع إلى ما كانت عليه؛ ليأتي التقويم على وضع قائم لا على وضع منهار.

ولقد صارت الآيات المؤمنين بمكمن الهزيمة: "قل هو من عند أنفسكم" بل واستطردت تتجول بهم في ذكريات ما وقع: "ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه، حتى إذا فشلتكم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون، منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم، والله ذو فضل على المؤمنين . إذ تصعدون ولا

تلعون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم بما بعـد لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصـابكم والله خـير بما تعملون "، ليس هذا وحسب، بل استطردت الآيات لتفوص في الأعماق ولتستخرج مكنون النفوس: " ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعـasa يغـشـي طائفة منكم وطائفة قد أهـمـتهم أنفسـهم يظـنـون بالله غير الحق ظـنـ الجـاهـلـية يـقـولـون هل لنا من الأمر من شيء قـلـ إنـ الـأـمـرـ كـلـهـ لـلـهـ يـخـفـونـ فـيـ أـنـفـسـهـمـ مـاـ لـيـبـدـونـ لـكـ يـقـولـونـ لـوـ كـانـ لـنـاـ مـنـ الـأـمـرـ شـيـءـ مـاـ قـتـلـنـاـ هـاـهـنـاـ قـلـ لـوـ كـنـتـمـ فـيـ قـلـوبـكـمـ وـلـيـمـحـصـ مـاـ فـيـ قـلـوبـكـمـ وـلـلـهـ عـلـيـمـ بـذـاتـ الصـدـورـ".

ولقد تلقى الصحابة هذا الوحي، يتلى عليهم بما وقعوا فيه من أخطاء، بل ويتأتى على الناس إلى يوم الدين؛ لتعلم الأجيال أن التصحيح لا يمكن أن يأتي على أرض تضطرب بما في جوفها مما يجب أن تلفظه، فهل نحن قادرون على مكاشفة ومصارحة بهذه؟ هذا سؤال له ما بعده.

وبعد المصارحة تكون النفوس قد تهيأت لتقويم الأوضاع تقويمًا متجرداً من الانحياز إلى النفس، سالماً من تهمة التبرير والتسويف، وعندئذ فلابد من أن يكون مستوياً للمرحلة كلها وليس قاصراً على الحدث وأمامده القريبة، ولا مختزلاً في زاوية من زوايا الأحداث ولدلالاتها، وهذا هو المحور الثالث.

فعندما ننظر فنرى الآيات تفتتح بالحديث عن بدر "ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة" ندرك أن المرحلة كلها مستهدفة بالتقويم، أجل .. وندرك أيضاً أن هذا التقويم الذي لم يوقف امتداده اتساع النطاق الزمانـي لن تند عنه زاوية من زوايا الحياة، فـهاـ هوـ عـلـىـ سـبـيلـ المـثـالـ يـتـطـرـقـ إـلـىـ مـسـأـلـةـ الـخـلـلـ فـيـ النـصـجـ الـاجـتـمـاعـيـ وـفـيـ الـوعـيـ السـيـاسـيـ: "يـاـ أـيـهـاـ الـذـينـ آـمـنـواـ لـاـ تـخـذـنـاـ بـطـانـةـ مـنـ دـوـنـكـمـ لـاـ يـأـلـونـكـمـ خـبـالـ وـدـوـاـ مـاـ عـنـتـمـ قـدـ بـدـتـ الـبـغـضـاءـ مـنـ أـفـوـاهـهـ وـمـاـ تـخـفيـ صـدـورـهـمـ أـكـبـرـ قـدـ بـيـنـاـ لـكـمـ الـآـيـاتـ إـنـ كـنـتـ تـعـقـلـونـ .ـ هـاـ أـنـتـ أـوـلـاءـ تـحـبـونـهـمـ وـلـاـ يـحـبـونـكـمـ وـتـؤـمـنـونـ بـالـكـتـابـ كـلـهـ وـإـذـاـ لـقـوـكـمـ قـالـوـاـ آـمـنـاـ وـإـذـاـ خـلـوـاـ عـضـواـ عـلـيـكـمـ الـأـتـامـلـ مـنـ الـغـيـظـ قـلـ مـوـتـواـ بـغـيـظـكـمـ إـنـ اللـهـ عـلـيـمـ بـذـاتـ الصـدـورـ .ـ إـنـ تـمـسـكـمـ حـسـنـةـ تـسـؤـمـ وـإـنـ تـصـبـكـمـ سـيـئـةـ يـفـرـحـوـ بـهـاـ وـإـنـ تـصـبـرـوـ وـتـقـبـلـوـ لـاـ يـضـرـكـمـ كـيـدـهـمـ شـيـئـاـ إـنـ اللـهـ بـمـاـ يـعـمـلـونـ مـحـيـطـ".

وكان الآيات تتنـزـلـ الـيـوـمـ مـنـدـدـةـ بـتـلـكـ الـحـالـةـ مـنـ السـيـوـلـةـ – بـلـهـ الـمـيـوـعـةـ – فـيـ التعـاـمـلـ مـعـ الدـوـلـةـ الـعـمـيقـةـ وـلـإـعـلـامـ (ـالـفـلـولـيـ)ـ الـفـاسـدـ وـمـجـرـمـيـ الـعـسـكـرـ وـكـلـابـ الـدـاخـلـيـةـ وـحـثـالـةـ قـضـاةـ مـبـارـكـ،ـ الـأـمـرـ الـذـيـ نـتـجـ عـنـهـ الـانـقلـابـ مـنـ هـؤـلـاءـ جـمـيـعـاـ عـلـىـ وضعـ الـأـهـلـ الـحـقـ هـوـ فـيـ حـقـيـقـتـهـ مـنـقـلـ بـعـلـىـ رـأـسـهـ،ـ وـلـوـ أـنـ الـمـؤـمـنـيـنـ اـنـسـاقـوـاـ وـرـاءـ مـاـ يـُـلـوـحـ بـهـ دـجـاجـلـةـ الـمـبـادـرـاتـ وـالـمـصـالـحـاتـ مـعـ الـعـسـكـرـ لـكـانـواـ جـديـرـيـنـ بـأـنـ تـخـلـيـ العـنـيـةـ إـلـهـيـةـ عـنـهـمـ،ـ وـيـكـلـمـ اللـهـ إـلـىـ أـنـفـسـهـمـ.

ويأتي المحور الرابع والأخير ليضع مثلاً تبني عليه حركة الاستنهاض، وغياب ضلع من أضلاع هذا المثلث يعني غيابه وذهابه، ويعني غياب وذهاب حركة الاستنهاض والابتعاث، قال الله تعالى في سياق التعقيب على أحد أحداث أحد: "فـبـمـاـ رـحـمةـ مـنـ اللـهـ لـنـتـ لـهـمـ وـلـوـ كـنـتـ فـظـاـ غـلـيـظـ الـقـلـبـ لـانـفـضـوـاـ مـنـ حـولـكـ فـاعـفـ عـنـهـمـ وـاستـغـفـرـ لـهـمـ وـشـاـوـرـهـمـ فـيـ الـأـمـرـ إـذـاـ عـزـمتـ فـتـوكـلـ عـلـىـ اللـهـ إـنـ اللـهـ يـحـبـ الـمـتـوكـلـيـنـ".

(التغافر - التشاور - التوكل) هذه هي الثلاثة التي تمثل دائرة استنهاض وبعث للأمة، فالتلاؤم وتقاذف التهم وجلد الذات يعيق الانطلاق، ويوقف الجميع على أول درجة في سلم الطائرة فتقلع وتتفوت الكل، "فـاعـفـ عـنـهـمـ وـاستـغـفـرـ لـهـمـ" ، وـيـقـترـنـ بهـذهـ الـحـالـةـ وـلـاـ شـكـ عـدـمـ الثـقـةـ بـرـأـيـ الغـيرـ،ـ وـمـنـ ثـمـ عـدـمـ الـمـشـاـوـرـةـ،ـ أـوـ حـصـرـ الـمـشـاـوـرـةـ فـيـ دـائـرـةـ ضـيـقةـ لـاـ تـسـتوـعـ خـبـرـاتـ الـأـمـةـ،ـ وـمـنـ هـنـاـ كـانـ الـأـمـرـ الـمـبـاشـرـ: "ـ وـشـاـوـرـهـمـ فـيـ الـأـمـرـ"ـ هـذـاـ بـرـغـمـ أـنـ مشـورـتـهـمـ بـالـخـرـوجـ لـلـفـاءـ الـعـدـوـ خـارـجـ الـمـدـيـنـةـ كـانـتـ مـنـ أـسـبـابـ الـهـزـيـمـةـ؛ـ وـلـاـ تـعـتـبـرـ مـشـورـةـ تـلـكـ الـتـيـ يـمـزـقـهـاـ الشـرـكـاءـ الـمـتـشـاـكـسـونـ مـنـ الـجـمـاعـاتـ وـالـأـحزـابـ الـمـتـخـالـفـةـ؛ـ

فيذهب كل فصيل بمزعة منها وينكب عليها وكأنها استحقاق وليس شورى تلك التي يستقل بها فريق بري نفسه صاحب القضية والمعنى بها وحده، ولا تكون شورى تلك التي تجري بين (لوبيات) يتناصر أعضاء كل لوبى منها ويتوافقون باستخراج القرار على النحو الموافق لاستراتيجيتهم ورؤيتهم هم، الشورى لها شروطها ولها آلياتها التي إن لم تتوافر لها كانت ممارسة مقنعة للاستبداد بالرأي، ثم يأتي التوكل ليغلق الدائرة فتفضيء مصابيح الأمل، وتنطلق (ماكينات العمل، "إذا عزمت فتوكل على الله".

إننا بحاجة إلى استلهام درس أحد، واستدعاء محاور هذه الدرس؛ لعلنا نصيب بعد ذلك في كل ما سينبني على هذه المحاور من استراتيجيات عامة في التغيير.

والله تعالى من وراء القصد وهو يهدي إلى سواء السبيل

الإسلاميون

المصادر: